د. سهام جميل جاسم Siham Jamil Jassim

تمرد المقنع الخراساني :

أ حدثت الدعوة العباسية رجه فجرت لدى الايرانيين تحسسا جديدا كان من نتائجه ظهور حركات ايرانية متعددة تدعو الى اعادة مجد ايران القديم بتقاليده ودياناته الموروثة والقضاء على العروبة والاسلام فكانت ثورات بها فريد وسنباذ واسحاق الترك واستاذ سيس والمقنع مظهرا من مظاهرها .

والملاحظ ان هذه الفرق الدينية السياسية بصوره عامة ربما تشابهت في جوهر تعاليمها واهدافها لكنها تختلف في بعض النقاط الثانوية او في بعض التفاصيل .

بدأت حركة المقنع الخراساني سنة ١٥٩ هجرية وان المؤرخين لا يتفقون حتى على اسم المقنع ويمكن القول بأن اغلبية الروايات تشير ان اسمه كان (هاشماً) بينما تعطيه روايات اخرى اسمه (حكيم) او (عطاء) ويظهر ان هاشماً هذا عاش في احد القرى القريبة من مرو عاصمة خراسان وكان في اول امره يعمل في تنظيف الصوف وغسله ولكن احواله تحسنت بتحسن ظروف ابيه المعاشية بعد الثورة العباسية حيث اصبح من موظفي والي خراسان فأهتم بتثقيف ابنه الذي استطاع بمثابرته ان يحصل على ثقافة لا بأس بها متنقلاً بين مدينتي بلخ و مرو .

وفي ولاية ابي مسلم الخرساني اصبح هاشم احد الرؤساء في الجيش ومن اتباع ابي مسلم المخلصين حيث قيل انه كان من بين (الرزامية) وفي ولاية عبد الجبار الازدي استمر هاشم في خدمة الوالي الجديد و وافقه على الثور ضد السلطة العباسية، وقد اسر عبد الجبار الازدي وهاشم مع اتباع اخرين وارسلوا الى بغداد حيث قتل عبد الجبار وسجن هاشم مدة في بغداد ثم اطلق سراحه فعاد الى مرو .

اما مظهر المقنع ومميزات شخصيته فلواقع انها لم تكن على ما يرام حيث تصفه الروايات بالقبح فكان اعوراً – قصيراً – اصلعاً ويذكر انه كان يتلجلج في كلامه ولعل سبب اتخاذه القناع الذي لبسه على وجهه كان لتغطية هذا النقص الذي كان يشعر به . تقول

بعض الروايات ان القناع الذي اتخذه المقنع كان من الذهب بينما كانت تشير روايات اخرى انه كان من الحرير الاخضر ومن هنا جاءت تسمية هاشم المقنع او بالنبي المقنع . وحين بدأ المقنع بث تعاليمه بين الناس اكد على ان يسبغ على شخصيته صفة الغموض والقدسية وقد حقق ذلك الخطوات التالية :

١. اتخاذ القناع لباساً لتغطية عيوبه اضافة الى انه كان يهدف الى اسباغ الغموض والسرية على نفسه تلك الصفة التي ستزيد دون شك من اعجاب اتباعه .
٢. لجوؤه الى استعمال السحر حيث انتشرت شائعات بين الناس الى ان المقنع استطاع ان يظهر بدراً في السماء وقد تغنى الناس في هذا البدر (بدر المقنع) واشاروا اليه في قصائدهم الشعرية . وهو حيله من حيل المقنع استطاع بها ان يجذب اليه قلوب العامة واعجابهم وهو ان هنالك بئر يصعد منه قمراً يراه الناس مثل القمر واشتهر في الافاق وعوام الناس يحسبونه سحراً وما كان الا بطريقة الهندسة وانعكاس شعاع القمر لانهم وجدوا في قعر البئر طاساً كبيراً مملوءا زيبقاً .
٣. ولعل ما يؤكد اهتمامه بإضفاء صفات الألوهية على نفسه تحذيره بعض اتباعه الذين رغبوا مشاهده وجهه وطلعته مدعياً ان النور الذي ينتشر من وجهه سيحرقهم لا محاله لانهم لا يستطيعون تحمله ،ولما اصروا على ذلك مبدين استعدادهم للموت امر المقنع عدد من النساء ان يرفعن المرايا التي تعكس اشعة الشمس المشرقة وسلطها على هؤلاء الاتباع منادياً بأن هذا نور المقنع فخروا كلهم ساجدين .
٤. وحين اراد رسول قائد الجيش العباسي مقابلته لم يظهر له وانما ناداه من وراء الستائر مؤكداً صفة الالهية .

اما تعاليم المقنع ان اول ما يلفت انتباهنا هو ان المقنع من فرقة الرزامية وهي فرقة راوندية قدست ابى مسلم وقالت بإمامته واعتقدوا بحلول روح الاله فيه . وان المقنع بشر بتعاليم ورفع شعارات مختلفة ولعلنا نستطيع ان نجملها كالآتي :

١. ادعى المقنع الألوهية وذلك لان اطلاق اسم نبي عليه يعتبر خطأ من الناحية التاريخية .

٢. نادى بالحلول والتناسخ فقال (ان الله خلق ادم في صورته ثم صورة نوح ثم صورة ابراهيم ثم موسى وعيسى ومحمد ((صلى الله عليه وسلم)) وسم الى ابي مسلم الخراساني ثم اليه) لذلك طلب من اتباعه السجود له.

٣. ادعى المقنع بانه بعد وفاته سيعود الى هذه الارض لينشر العدل وليحكم اتباعه هذا العالم ولقد ظل المقنع مخلصا لهذا المبدأ حتى وفاته فانه رمى بنفسه في النار حين حاصره الجيش العباسي ولم يترك اثرا له ولذلك اعتقد اتباعه بانه اختفى وسيعود حتما .

٤. قدس المقنع ابا مسلم الخراساني ونادى بأفضليته حتى على الرسل وان الرزاميه ادعو حلول روح الاله في ابي مسلم وانكروا وفاته .

٥. اسقط الفرائض من صوم وصلاة وزكاة وحرم على اتباعه القول بان هنالك حراما وحلالا.

٦. طبق المقنع تعاليم مزدك على اتباعه وخاصة فيما يخص منها اباحة النساء والاموال بينهما

٧. اعطى المقنع الحق لاتباعه بقتل كل من يخالفهم في المعتقد وان يسبوا نسائهم واطفالهم ويسلبوا ممتلكاتهم ،على ان هذه الفكرة ليست جديدة فلقد ظهرت فرق نادت بنفس الافكار .

وقد تحالف المبيضة مع المقنعيه : وكانت المبيضة في خراسان وبلاد ما وراء النهر من الفرق الخرمية المتطرفة تدين بالولاء لابي مسلم وتدعوا الى الفرائض وتقول بان الدين معرفة الامام فقط . وقد اختارت اللون الابيض شعارا لها ضد المسودة العباسيين الذين قتلوا ابا مسلم وعلى ذلك فان التبيض كان يعني بصورة عامة العداء للعباسيين ولكنه كان يقصد به في خراسان بصورة خاصة اتباع ابي مسلم الخرمية.

وقد انتشرت حركة المقنع في منطقة كش كما ان امير بخاري تقبل تعاليم المقنع وحالفه بعد ان ترك الاسلام وقد بدا المقنع يهاجم القرى والقوافل الاسلامية وزاد خطره على السلطة مما حدا بحميد الطائي والي خراسان الى الامر باعتقاله . وعند ئذ هرب المقنع مع اتباع له الى بلاد ما وراء النهر واستقر في كش في (حصن سنام)وقد

باءت جميع الحملات الاسلامية التي ارسلت للقضاء عليه بالفشل وقد استطاع المقنع ان يتحالف مع الاتراك تاركا لهم حرية الهجوم على القرى الاسلامية ونهب وسبي نسائها وقد حالفه امير بخاري وخاقان الترك وخاصة الاتراك الخلجية منهم .

وقد احس المهدي العباسي بخطورة الموقف وهنا حدثت تبدلات سريعة في ولاية خراسان انتهت بتعين معاذ ابن مسلم والي عليها . وقد باشر معاذ بن مسلم سنة ١٦١هـ بتنظيم هجمات مركزة على المقنعيه انهكت قواهم واضطرتهم الى الانسحاب الى حصن سنام وهنا حدث نزاع بين معاذ بن مسلم وبين سعيد الحرشي قائد المقدمة وقد حسم المهدي النزاع بتعين الحرشي قائدا عاما للجيوش العباسية .

واستمر الحصار زمنا طويلا وفشلت كل المحاولات لأقناع المقنع بالتسليم وكانت المقنعيه قد استعدت لحصار طويل الامد ،وبينما كان الحرشي يحاول ملء الخندق بجلود الجاموس المملؤة بالتراب حتى يمكنه العبور اذا بقائد من قواد المقنع مع عدد كبير من اتباعه ينضمون الى الجيش العباسي وقد قدر عدد الذين استسلموا ٣٠ الفا ولم يبق مع المقنع الا٢٠٠٠ شخص على ان المقنع بقي يدافع عن نفسه حتى النهاية.

وحين بدا الجيش العباسي يسيطر على منافد القلعة جمع المقنع نسائه واتباعه المخلصين واخبرهم بانه سيختفي وانه عائد بعد مده وانه سيملكهم الارض وما فيها ثم سقى اصحابه شرابا مسموما فماتوا جميعا فألقى بنسائه واطفاله في التنور واحرقهم ثم اذاب النحاس والقطران في التنور والقى بنفسه فيه حتى لا يظفر العباسيون بجثته وبجثث عائلته وقد سمع المهدي بنبأ موت المقنع وكان قد صلب ١٦٣ هـ.

المصادر والمراجع

١-ابن الاثير ، الكامل في التاريخ
٢-ابن كثير ، البداية والنهاية
٣-الطبري ، تاريخ الرسل والملوك
٤-ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك
٥-ابن خلكان ، وفيات الاعيان
٦-اليعقوبي ن تاريخ اليعقوبي

٧-ابن خياط ، تاريخ خليفه بن خياط
٨-ابن قتيبة ، عيون الاخبار
٩-ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر
١٠-ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني
١١-حاجي خليفه، كشف الظنون في معرفة الاسامي والفنون
١٢-الذهبي ، تاريخ الاسلام
١٣-السيوطي ، تاريخ الخلفاء
١٤-المسعودي ، مروج الذهبي
١٥-المقريزي ،كتاب السلوك
١٦-القلقشندي، صبح الاعشى
١٧-ولهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها
١٨-ادم متز ، الحضارة الاسلامية
١٩-شاكر مصطفى التاريخ العباسي
٢٠-فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية
٢١-بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية
٢٢-بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية
٢٣-حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام
٢٤- البغدادي ، تاريخ بغداد
٢٥-عبد العزيز الدوري ،العصر العباسي الاول